سياسة المعايير المزدوجة

استعرضنا فيما سبق، عدالة الإسلام المطلقة، التى انفرد بها منهج لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعلمنا مدى أهمية وخطورة هذا المبدأ الايجابية والبناءة فى حياة الفرد والمجتمع.

ذلك أن العدل عامل استقرار، وعنصر مهم فى خلق الحب والمودة والوئام بين بنى الإنسان، وإذا كان العدل كذلك أى قيمة كبرى فعالة فإن الظلم والاعتداء، وأكل أموال الناس بالباطل من عوامل الهدم والتدمير التى حاربها الإسلام فالإسلام دين يدعو إلى الحضارة والعمران والبناء، الظلم والطغيان من الرذائل التى قاومها منهج التوحيد.

والإنسانية منذ أن افتقرت وحرمت من نعمة العدل الإسلامى والشقاء، والتعاسة، والتشريد، لازمتها، وعايشتها ويا ليت شيوع الإجحاف، والجور، وضياع الحقوق الضرورية مقتصرا على مستوى أفراد محدودين، أو مجتمعات صغيرة بل إن شعوبا ذات حضارة عريقة وتاريخ مجيد، كانت ضحية لسياسة المكاييل والموازين المتباينة، هذه السياسة التى لم ترحم صغيرا ولا مريضا ولا شيخا فانيا وذلك بحرمان هؤلاء جميعا من الغذاء الذى يسد الرمق، ومن الدواء الضرورى والملح.

ولا ندرى كل هذا العدوان المتوحش لمصلحة من انه لمصلحة وارضاء دويلة ضد شعب كان ضحية قرار جائر يصدر من دولة تريد أن تسخر كل من فى الأرض لأغراضها السياسية والاقتصادية ولا تريد إلا أن تكون سيدة العالم وعلى الجميع السمع والطاعة والانصياع لإرادتها وإلا سيكون خارجا عن الصف. والخروج عن الصف عدو لدود لهذه الدولة، كما يقول نعوم تشومسكى(١).

* * *

وسوف نقدم نماذج من سياسة الولايات المتحدة تجاه دول. هذه السياسة الأمريكية نقف من خلالها وندرك كيف أنها مناقضة ومعادية لحضارة الإسلام التى قدمنا صورا حية ومواقف تاريخية منها، جديرة أن تطبق وتنفذ وتمارس، كما كانت مطبقة ومنفذة

(١) يهودى أمريكى الجنسية.

وممارسة فى وقت ما. فسعد بها المسلم وغير المسلم الصديق وغير الصديق، لأن المنهج الإسلامى ليس مقصورا نتائجه الايجابية على المسلمين وحدهم – كما أكدنا ذلك أكثر من مرة – وإنما هو حياة لكل الناس مهما اختلفوا فى عقائدهم الدينية، وانتمائهم العرقى أو الجنسى.

ومما سبق عرضه تأكد لنا – أيضا – بالوقائع والمواقف التاريخية الموثوقة أن الإسلام لم يعرف فى تاريخه السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى ازدواجية القرارات والأحكام. وإنما الإسلام يقر مبدأ واحدا هو نصرة الحق والعدالة والانصاف. ولا حضارة فى الأرض فى أى عصر من العصور ما دامت العدالة مفتقدة والظلم والعسف والجور حكما وسيدا ودستورا ونحن إذا استعرضنا مواقف الولايات المتحدة تجاه الأمة العربية والإسلامية نراها ذات طابع انحيازى لطرف واحد على حساب أطراف ذوى حقوق مكتسبة، ومؤيدة تاريخيا وسياديا، وقانونيا وحضاريا.

فالولايات المتحدة الأمريكية وافقت على أن تمتلك إسرائيل السلاح النووى، أو أسلحة الدمار الشامل، بالإضافة إلى جميع الأسلحة الكيميائية والميكروبية. وحرمت ذلك على جميع الدول العربية حتى ولو للدفاع عن نفسها. ولم تكتف أمريكا بذلك – بل أمدت وتمد إسرائيل بالأسلحة الفعالة من أحدث طائرات الترسانة الأمريكية. زائد المعونات المادية والمالية الأخرى. كل ذلك لكى تستمر إسرائيل متفوقة على الدول العربية كافة. وذات ذراع طويلة تستطيع أن تصل إلى أقصى مدينة عربية.

لقد قرر القانون الدولى أن الأصل فى العلاقات الدولية السلم ولا يلجأ إلى الحرب إلا عند الضرورة القصوى أى بعد فشل المساعى السلمية حلا للمشكلات الدولية والاقليمية وإسرائيل حين شنت حربا ضارية على ثلاث دول عربية عام ١٩٦٧ اكتفت المنظمة الدولية بإصدار قرار صيغ بطريقة خبيثة يخدم المعتدى أكثر مما يخدم المعتدى عليه.

وقبل ذلك وبعد كل ذلك لم تتحرك الولايات المتحدة وحلفاؤها عسكريا لمنع هذا الاعتداء، كما حدث فى حرب الخليج الأخيرة حين جيشت أمريكا جيوش حلفائها لطرد العراق من الكويت لماذا؟؟!!

ندع الإجابة لمفكر يهودى أمريكى الجنسية الانصاف والحيدة والموضوعية والبحث عن الحقيقة المجردة طبيعته وسمة فكره وعقيدته السياسية يقول: «عندما غزا العراق الكويت فى أغسطس عام ١٩٩٠، أدان مجلس الأمن العراق وفرض عليه حظرا فوريا. لماذا كان رد الفعل سريعا هكذا؟ ولماذا كان قويا بتلك الدرجة غير المسبوقة؟

«لدى تحالف حكومة الولايات المتحدة مع الإعلام الأمريكى إجابة جاهزة لذلك مؤداها: **أولاً**: مثل الاعتداء العراقى جريمة فريدة، مما استحق رد فعل خشن بطريقة فريدة و«تقف أمريكا - كما وقفت دائما - ضد العدوان، وضد اولئك الذين يستخدمون القوة ويخرقون القانون هكذا أخبرنا «بوش» غازى بنما. والرئيس الوحيد فى العالم الذى أدانته محكمة العدل الدولية، بسبب استخدامه غير القانونى للقوة وذلك فى سياق إدانتها للاعتداء الأمريكى على نيكاراجوا».

«**ثانياً**: كررت وسائل الإعلام والطبقات المتعلمة - وراء إدارة بوش - فى مناجاة ابتهال وشكر أن الأمم المتحدة أصبحت - أخيرا - قادرة على أن تقوم بدورها الذى أنشئت من أجله، بعد أن استحال ذلك أيام الحرب الباردة».

«ولم تصل فظاعاته - صدام - فى الكويت لما وصلت إليه فظاعات أصدقائنا فى أمريكا الوسطى ولا الهند الصينية (ولا ننسى أننا فى وقت من الأوقات دعمنا القاتل الذى يندر أن يأتى التاريخ بأمثاله بول بوت) ولا أندونيسيا».

«أما مسألة حمدا لله على أن الأمم المتحدة أصبحت أخيرا قادرة على أداء دورها، فالحقائق التى تفند ذلك، ولكن يعتم عليها حماة المواءمة السياسية، فلسنوات طويلة أعاقت القوى العظمى عمل الأمم المتحدة، خصوصا الولايات المتحدة، وليس الاتحاد السوفيتى ولا العالم الثالث، ومنذ عام ١٩٧٠، عطلت الولايات المتحدة قرارات مجلس الأمن باستخدامها «الفيتو» أكثر من أى دولة أخرى، وتأتى بريطانيا فى المركز الثانى، وفرنسا الثالث»

«وسجلنا فى الجمعية العمومية تشابه لسجلنا فى مجلس الأمن أما أقصى ما استطاعه العالم الثالث فهو نداءات الضعيف للقوى بأن يراعى القوانين الدولية».

لماذا لم يكن الحل الدبلوماسى مطلوبا؟

«بعد أسابيع قليلة من غزو العراق للكويت فى ٢ أغسطس ١٩٩٠، بدأت تظهر بوادر تسوية سلمية، فقد صدر قرار مجلس الأمن رقم ٦٦٠ والذى يدعو العراق للانسحاب من الكويت، مع مفاوضات مباشرة للجانبين حول مسألة الحدود. وقد كان مجلس الأمن يبحث عرضا عراقيا بالانسحاب من الكويت فى منتصف الشهر وظهر أن هناك مسألتين: الأولى منفذ للعراق على الخليج، بمقتضى اتفاقية أو ما أشبه على منطقتين غير مأهولتين بالسكان، يغطيهما المد وينحسر عنهما الجزر، أخذتهما الكويت من البريطانيين خلال وجودهم فى المنطقة. والثانية حل النزاع الخاص بحقل بترول داخل حدود الكويت بميلين أو فى المنطقة التى أثار أثار العراقيون النزاع عليها.

«رفضت الولايات المتحدة عرض العراق أى مفاوضات. وفى ٢٢ أغسطس نشرت النيويورك تايمز **أن إدارة «بوش» مصممة على إيقاف المسار الدبلوماسى خوفا من أن يفتت الأزمة»**

«آخر عرض أعلن عنه قبل قصف العراق تضمن – كما أفاد المسئولون الأمريكيون فى ٢ يناير عام ١٩٩١ – **انسحابا عراقيا كاملا من الكويت – دون التطرق لمسألة الحدود** – ولكنه ارتبط بمسائل أخرى مثل: القضاء على أسلحة الدمار الشامل فى المنطقة كلها (بما فى ذلك إسرائيل وتنفيذ كل قرارات الأمم المتحدة الصادرة للمنطقة بما فى ذلك القرار رقم ٤٢٥ الصادر فى مارس ١٩٧٨ ويقضى بانسحاب إسرائيل غير المشروط من جنوب لبنان).

«**ردت الولايات المتحدة بأنه لا سبيل للدبلوماسية!** أخفى الإعلام الأمريكى الحقائق – باستثناء نيوزداى – وأشاد بالمثل العليا للرئيس المبجل «بوش».

«**برفضها للدبلوماسية، حققت الولايات المتحدة أهدافها الرئيسية فى الخليج**».

«**قبضت على مصادر بترول الشرق الأوسط، وقبضنا أرباحها الهائلة لتحسين اقتصادنا واقتصاد حليفتنا بريطانيا لذلك أحكمنا سيطرتنا على إمدادات البترول للعالم ودعمنا سيادتنا عليه، وأعطينا للعالم درسا فى أن الحكم للأقوى**[١]»

---

(١) يتصرف من كتاب «ماذا يريد العم سام» تأليف: نعوم تشومسكى ترجمة: الأستاذ عادل المعلم.

نعم إن الحكم للأقوى! للأقوى عسكريا الذى يملك أسلحة الدمار الشامل والسلاح النووى المدمر، وإن لم يستخدما فللتهديد والتلويح باستخدامه عند الحاجة والضرورة.

إن الولايات المتحدة لم توافق على الحل الدبلوماسى الذى كان متاحا - كما أكد ذلك نعوم تشومسكى - بعد أن قبل العراق الانسحاب من الكويت، بشهادة تشومسكى أيضا.

ولكن الحل الدبلوماسى هذا لم يكن يحقق لأمريكا استعمار الخليج، فكان من الطبيعى أن ترفضه وبشدة.

وكما قلنا سابقا إن القانون الدولى يجرم اللجوء إلى الحرب حلا للمشكلات الدولية، ولاسيما إذا كان الحل الدبلوماسى موجودا نعم هذا نص القانون الدولى، ولكن متى كانت القوانين تطبق على الأقوياء، إن مثل هذه القوانين تنفذ على الضعفاء فقط! مثل حد السرقة فى الأمم السابقة على الإسلام كما قال أستاذ البشرية محمد بن عبد الله ﷺ «كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الفقير أقاموا عليه الحد».

* * *

لا اعتراض لأحد على الادانة العربية والدولية للغزو العراقى للكويت وإن هذا الغزو ضد جميع الأعراف الإنسانية والقوانين الدولية ولكن الاعتراض كل الاعتراض على حل هذه المشكلة، مشكلة الغزو العراقى بالقوة العسكرية - ما دام الحل عن طريق الحوار السياسى والمفاوضات ممكنا، فاللجوء إلى الضربات العسكرية كان ارضاء وتلبية للأهواء السياسية والاقتصادية للإدارة الأمريكية ومنها استعمار الكويت والسيطرة على امدادات البترول وقد تحقق لهم ذلك واثبتوا للعالم أن الحكم للأقوى بشهادة الأستاذ نعوم تشومسكى.

وغرور القوة وصلف الجبروت العسكرى الأمريكى لم يكتف ولم يقنع بكل ذلك، وإنما هم مستمرون فى ضرباتهم المجنونة لشعب العراق تحت ذريعة القضاء على أسلحة الدمار الشامل لدى العراق، ويدفع ثمن هذه الغارات الجوية الطفل العراقى الذى لا

يحد غذاء ولا دواء، ولاسيما بعد تفشى الأمراض الخبيثة بسبب هذه الأسلحة التى يختبر مدى فاعليتها ومدى تدميرها وإن ارتفع صوت بالاحتجاج أو إدانة أعمالهم الإجرامية قيل لك إنهم يستهدفون القضاء على أسلحة الدمار الشامل العراقى.

نعم أنهم يريدون القضاء على أسلحة الدمار الشامل التى يملكها العراق!! هكذا! وعلى بعد كيلو مترات من العراق دولة تمتلك جميع الأسلحة النووية والميكروبية والكيمائية. أسلحة فى مقدورها أن تنشر الخراب والدمار وكل ما «يجود» به السلاح النووى من أمراض سرطانية وغير سرطانية تتوارثها الأجيال القادمة!!

ولا غرابة فى ذلك! لأننا تعيش فى عالم كافر بسياسة العدل الإسلامى الذى لم يعرف فى تاريخه الطويل سياسة الكيل بمكاييل متعددة، كما بسطنا القول سلفا، وأثبتناها بالوثائق والأسانيد التاريخية المؤكدة.

نعم لا غرابة فى ذلك! لأننا نحكم بسياسة المعايير المزدوجة أو السياسية الانحيازية، وقد حكمت هذه السياسة الظالمة لدولة أن تمتلك جميع وسائل الفناء والموت والتدمير على حساب ليست دولة العراق وحسب، وإنما على حساب دول منطقة الشرق الأوسط جميعها ذات العشرات من ملايين البشر.

هذه الممارسات الظالمة لحكومات الولايات المتحدة حرمت على بلابل هذه المنطقة الدوح والغناء ما حللته لصقور وغربان إسرائيل.

ونحن المسلمين فى الشرق والغرب نستحق هذا المصير المخزى والمهين والمذل، نستحق ذلك المصير لأننا ابتعدنا وتركنا منهج لا إله إلا الله محمد رسول الله وراء ظهورنا، هذا المنهج الذى حقق لنا فى الماضى القريب العزة والمنعة والقوة، دون أن تعنى تلك العزة والمنعة والقوة الظلم والطغيان والعدوان والصلف والغرور التى هى سمة عالم أحاديالقطبية، عالم يدعو إلى صدام الحضارات وتناحرها.

نقول نحن جديرون وأهل لما آل إليه عالمنا الإسلامى لأن هذا المصير، والمآل السيئ، قد حذرنا منه رسولنا الكريم محمد ﷺ، منذ أربعة عشر قرنا، بقوله :« تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، قالوا أو من قلة نحن يومئذ، يا رسول الله، قال: لا. أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل.

ولكننا فى الوقت نفسه، ورغم هذا الليل المظلم الكئيب، ليل الظلم الطويل وعلى الرغم من جبروت النظام، أو القوة الأحادية القطبية. بعد سقوط دولة الكفر والإلحاد والشيوعية، والتى تعتقد أنها سيدة الأنظمة العالمية. وأن جميع الشعوب والدول الأخرى، عبيد لها، ولإرادتها، ولسياساتها ذات المعايير المتعددة.

هذا النظام الذى يستطيع أن يستصدر قراراً ذا طبيعة «حضارية» لأنه صادر من منظمة دولية، مثل مجلس الأمن، ولو كان هذا القرار ظالما، أو ليس فى مصلحة دولة أو دول، كما أنه يستطيع أن يمنع استصدار القرار من هذه المنظمة، ولو كان هذا القرار فى مصلحة دولة معينة. وذلك باستخدام حق «الفيتو» المكفول لدول دون دول.

نقول رغم كل هذه المعوقات التى تحول دون تحقيق ونشر المساواة والعدالة السياسية، والاقتصادية، والعسكرية رغم ذلك نحن مؤمنون وواثقون – بمشيئة الله تعالى بشروق شمس العدل الإسلامى، الذى ستبدد ليل الغطرسة الدامس وتعيد الحقوق إلى أصحابها الشرعيين.

والذى يدعونا ويدفعنا إلى هذا الإيمان وتلك الثقة باعثان مهمان جوهريان، أولهما أن اليأس والقنوط خصلتان مرفوضتان فى منهج لا إله إلا الله محمد رسول الله، سواء كان اليأس والقنوط على مستوى الحياة الشخصية للأفراد أو على مستوى السياسة العامة يقول الله تعالى على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام ﴿**وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [يوسف: ٨٧]. ويقول تباركت أسماؤه فى معرض وعده الحق الذى لا يخلف ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النور: ٥٥]. ولكن كل أمل لا يتحقق إلا بالعمل الجاد المخلص الدءوب. وأمل المسلمين فى القوة والعزة والسؤدد لن يأتى إلا بالعودة إلى قرآنهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام ونعنى بالعودة التطبيق العملى والممارسة الحياتية لما فى الكتاب الحكيم والسنة الصحيحة.

والباعث الثانى هو دلالة التاريخ الإنسانى وما يشير إليه مصير الإمبراطوريات الكبرى قديما وحديثا:

١- قديما كانت الامبراطوريتان الفارسية والرومانية اللتان استمرتا قرونا عديدة وامتلكتا مصير كثير من شعوب الأرض، «فالامبراطورية الرومانية كانت تضم كل حوض البحر المتوسط والامبراطورية الفارسية كانت تمتد من نهر الفرات وحتى حدود الهند(١)» ورغم كل ذلك انهارت وسقطت هاتان الامبراطوريتان. ورب قائل يقول إن هاتين الامبراطوريتين لم تكن لديهما من وسائل العلم والتكنولوجيا والتطور المذهل فى علوم الفضاء والاتصالات والصواريخ والأقمار الصناعية وغيرها التى تميز بها عصرنا الحديث ونقول داحضين هذا الاعتراض بأنها أى الامبراطوريتين بالقياس إلى عصرهما كانتا تملكان جميع الامكانات العلمية من أسلحة مدمرة تناسب تلك الأزمنة الغابرة. والذى يشهد على ذلك شاهد عدل صادق وصدوق ذلكم هو القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

إن القرآن حين تحدث عن بعض الأمم السابقة للروم والفرس بقرون وقرون أشار ضمنا إلى أن تلك الأمم كانت لها من الوسائل التى اتخذت من السهول قصورا، وكيف أنها كانت تنحت من الجبال بيوتا.

وتحدث عن قوم عاد ﴿**إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ**﴾ [الفجر: ٧-١٠].

فالعصر الحديث متقدم علميا بالنسبة إلى تلك العصور السابقة هذا صحيح ولا جدال فيه. وتلك الحضارات الغابرة كانت متقدمة علميا بالنسبة لحضارات أخرى قد سبقتها، فالمقارنة بين حضارة العصر الحديث وتلك الحضارات مقارنة غير دقيقة إن لم تكن ظالمة، وذلك للبون والفارق الزمنى والمكانى العظيمين.

٢- حديثا أ- الامبراطورية البريطانية أو المملكة التى لا تغيب عن ممتلكاتها الشمس، كما كان يطلق عليها فى ذلك الوقت. وكانت تلقب أيضا بسيدة البحار. وبريطانيا العظمى.

---

(١) دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية د. وسام عبد العزيز فرج.

أين هذا المجد والسلطان والنفوذ البريطانى اليوم. لقد ذهب كل ذلك تذروه الرياح. وصارت بريطانيا تلك ذيلا ذليلا وتابعة ومسودة بعد أن كانت متبوعة وسيدة تأمر وتنهى من داون ستريت فيأتمر العالم بأمرها وينتهى لنهيها.

ب- الاتحاد السوفيتى: القوة العلمية والعسكرية والفضائية الضارية سابقا التى طالما ارقت وأرعبت وأرهبت حكومات الولايات المتحدة التى ما كانت تجرؤ ببنت شفة أمام غزو سوفيتى لدولة من دول حلف وارسو، سوى لطم الخدود وشق الجيوب وحينما أطلق الاتحاد السوفيتى القمر الفضائى الأول فى أوائل الستينيات أسقط فى يد حكام أمريكا خشية وهلعا من أن مثل هذا القمر سوف يجرى استخدامه فى الحرب الهجومية عليهم، وكما صنعت الامبراطوريتان الرومانية والفارسية فى تقسيمهما للعالم صنع الاتحاد السوفيتى - وقتذاك - وأمريكا بما يقدمانه من معونات للدول المتخلفة وليست النامية، فحكام دول فى الشرق والغرب عملاء لأمريكا. وحكام آخرون -كانوا - عملاء للاتحاد السوفيتى. ثم ماذا بعد؟

ماذا حدث لهذه الدولة إحدى القوتين العظميين، التى تملك السلاح النووى والصواريخ العابرة القارات. لقد انهارت وسقطت وانمحت، وصارت تتسول الرغيف ومن من؟ من الد أعدائها بالأمس القريب.

* * *

فيا حكومات أمريكا إن الامبراطوريتين الفارسية والرومانية زالت سطوتهما وتفرق شملهما. وإن بريطانيا العظمى غربت شمسها إلى الأبد التى لم تكن تغيب. وإن الاتحاد السوفيتى الذى كان يوما ما منافسا لكم هوى فى واد سحيق.

فكان الأحرى والأجدر بكم الاستفادة من دروس التاريخ القديم والحديث. وكان حقيقيا بكم أن تتجنبوا سياسة المعايير المزدوجة - فالحصار المستمر على شعب العراق منذ أكثر من تسع سنوات حصار ظالم ومناقض لما تزعمونه من دفاعكم لحقوق الإنسان. كذلك الغارات الجوية على شعب العراق همجية وعودة إلى سياسة الغاب والناب. وانحيازكم الكامل لإسرائيل ضد شعب فلسطين والشعوب العربية طغيان وفساد وافساد ومحاولاتكم لاسقاط حكومة البشير فى السودان، وذلك بمعوناتكم المادية والعسكرية للمتمردين فى جنوب السودان لاقامة حكومة علمانية فى شمال السودان بديلا للحكومة الشرعية الإسلامية بقيادة عمر البشير، محاولاتكم هذه

تدخل باطل فى شئون دولة مستقلة وضد القانون الدولى الذى تدعون أنكم حماته ومدافعوه.

وإن كان التدخل فى شئون الدول الأخرى سمة مميزة لسياسة حكوماتكم المتعاقبة وممارساتكم الظالمة فى دول أمريكا اللاتينية مثل البرازيل والسلفادور ونيكاراجو وبنما وشيلى خير شاهد وأكبر دليل على السياسة النفعية والمادية. سياسة الغابة التى تبرر كل وسيلة وإن كانت هذه الوسيلة اغتيال الحكام الشرعيين. وتجويع وتشريد الشعوب وقتل الأطفال والنساء.

* * *

يا حكام الولايات المتحدة ويا شعبها، إن منهج لا إله إلا الله محمد رسول الله الذى نؤمن به ونعتنقه معتزين بهذا الإيمان وتلك العقيدة، هذا المنهج يفرض علينا أن تكن لكل الناس – مهما اختلفتا معهم فى العقيدة أو الجنس أو اللون أو اللغة – الحب والمودة. حتى من يعادينا واجب علينا الا نبغضهم، وألا نبادلهم عدواتهم لنا بعداوة. هكذا علمنا إمام منهج لا إله إلا الله، وهو نبى الإسلام سيدنا محمد ﷺ الذى هاجر إلى الطائف قاطعا الجبال والوديان منتظرا منهم حسن الاستقبال فقط ولكنهم سلطوا عليه الغلمان والعبيد يرمونه بالحجارة، وبعد أن نصر الله تعالى دينه وثبت أركانه حاصر النبى ﷺ الطائف أياما، عندئذ قيل له بعض أصحابه ادع على ثقيف أهل الطائف فأبى عليه الصلاة والسلام ذلك، وإنما رفع يديه إلى السماء قائلا: «اللهم أهد ثقيفا وأت بهم مؤمنين» دعا لهم ولم يدع عليهم بدافع الانتقام الشخصى. وفى إحدى الغزوات والمعركة بين المسلمين والمشركين محتدمة ومشتعلة قيل له يا رسول الله لو لعنتهم أى لعنت أعداءنا المشركين فرفض ذلك وقال :«إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا» هذا هو موقف الإسلام من أعدائه الدعاء لهم بالهداية إلى سواء السبيل لأن منهج لا إله إلا الله دين رحمة ومودة ومحبة لكل البشر مسلمين وغير مسلمين أصدقاء وأعداء.

فالإسلام إذا كان يحتم علينا ألا نكره من يعادينا، ولا نضمر لهم حقدا أو بغضا أو مقتا، فإننا نطالب أنفسنا – كمسلمين – حكاما ومحكومين، شعوبا وقادة سياسيين بأن نجعل منهج لا إله إلا محمد رسول الله دستورا عمليا لحياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، ومنهج لا إله إلا الله محمد رسول الله لن يتحقق فى حياتنا

هذه إلا إذا كان كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد ﷺ هما اللذين يحكمان حياتنا الدنيا، وعندئذ سنحوز بجدارة شرف «خير أمة أخرجت للناس» وساعتئذ سيقف العالم كله على حقيقة الإسلام وجوهره وعظمته. فكثير من شعوب العالم بمن فيها الشعب الأمريكى يتصورون أن الإسلام دين دموى، وأن المسلمين أمة متوحشة، وهم معذورون فى تصورهم هذا الكاذب والمخطئ، لأن الإعلام الصهيونى الفاسق أوصلهم إلى شعوب مغيبة ومخدرة فى أمام إعلام عربى عاجز ومشلول انحصرت أهدافه واهتماماته فى تقديم مواد هابطة ومسفة تخاطب الغريزة الجنسية فقط وإن احسنت الظن بهذا الإعلام لم يقدم منجزات الإسلام التاريخية والعلمية المجيدة إلا كخدمة ثقافية أو تراث إنسانى، وليس كحافز حيوى كفيل بتحويل واقع سيئ وعفن إلى واقع متحضر قائد لا مقود، متبوع ليس تابعا، مكتف ذاتيا غير متلق معونات وصدقات ليملك قراره السياسى والاقتصادى والعسكرى.

نعم لن نكون جديرين باحترام الآخرين إلا إذا كانت تجمعنا وحدة سياسية واقتصادية وعسكرية ورؤية للحياة والكون متحدة. ينبغى أن تزول الحواجز الدبلوماسية وتلغى تأشيرات الدخول والخروج بين الدول العربية، وقد سبقتنا فى هذا المضمار دول كثيرة. فهناك الاتحاد الأوروبى وحلف الناتو وغيرهما. ونحن نملك جميع الامكانات البشرية والمادية والعلمية والاقتصادية لكيان سياسى قوى وموحد وإسلامنا يأمرنا بالوحدة والاعتصام بحبل الله تعالى. والوحدة إذا كانت قائمة وأساسها منهج لا إله إلا الله محمد رسول الله، فهى وحدة قوامها القسط والعدل ومحاربة الظلم والطغيان والاعتداء. كما أنها وحدة شديدة الحفاظ على حقوق البشر جميعا. والاعتصام بحبل الله تعالى تأكيد على العمل بمنهج القرآن، لأن حبل الله فى الآية الكريمة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] هو القرآن كما جاء فى حديث على رضى الله عنه عن النبى ﷺ انه قال «أما أنها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها؟ قال «كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين[١]»

فالوحدة الإسلامية قائمة على التعاون على البر والتقوى وليس تعاونا على الأثم والعدوان. وما أكثر التعاون على الأثم والعدوان والبغى والظلم فى عصرنا هذا مهما ألبسه الناعتون والواصفون ثياب الحضارة والتقدم والمدنية، عصر انقلبت فيه الموازين

١- مفاتيح الغيب ص٤.

الإنسانية والخلقية عصر الهه ومعبوده من دون الله تعالى هو القناطر المقنطرة من الذهب والفضة، عصر سادت فيه القيم المادية على القيم المعنوية العظيمة. عصر ساد فيه تحكم السفه على الرشد والمظهر الأجوف على الجوهر الأصيل خسارة كبرى على الإنسانية جميعا وشر مستطير على البشر.

وقد حذر أبو العلاء المعرى رحمه الله المجتمع الإنسانى من انقلاب قيم الحق والعدل، لأن هذا الانقلاب لا يعنى إلا فساد الحياة البشرية وانحطاطها.

يقول المعرى:

إذا وصف الطائىَ (١) بالبخل مادر
وعير قسا (٢) بالفهاهة (٣) باقل (٤)
وقال السهى (٥) للشمس: أنت خفية
وقال الدجى (٦) للصبح: لونك حائل
وطاولت الأرض السماء سفاهة
وفاخرت الشهبَ الحصى والجنادل
فيا موت زر إن الحياة ذميمة
ويا نفس جدى إن دهرك هازل

وقد نختلف مع المعرى، ونتفق معه، نختلف معه فى طلبه الموت أو تمنيه أمام اضطراب القيم والموازين أو تفوق وانتصار حضارة الكم على حساب وضد حضارة القيم الإنسانية العليا ذلك أن اليأس والقنوط والهرب مشاعر سلبية ومرفوضة فى منهج لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ونتفق معه فى الشطر الأخير من هذا البيت فالجد والمثابرة والمصابرة مع الثقة الكاملة فى رحمة الله تعالى قادرة على كشف الغمة وازهاق الباطل ودمغه، مهما ارتدى سربال القوة الغاشمة واستعان بكل ما يملك لفرض سلطانه وحكمه وجبروته على كل ما ظنه مستضعفا أو معدما أو جاهلا.

* * *

(١) حاتم الطانى المعروف بالجود والكرم.
(٢) قس بن ساعدة خطيب العرب المفوه.
(٣) العى.
(٤) اشتهر بالعى.
(٥) كوكب صغير خفى الضوء.
(٦) سواد الليل وظلمته.